



الخراب

مكتبة "دار الشروق" في ميدان طلعت حرب هي، مع الفنادق وقاعات المؤتمرات، احد الامكنة القاهرية التي يكون فيها للزائر العربي الحظ الاكبر في لقاءات المصادفة مع عرب آخرين قصدوا "ام الدنيا". في ما مضى، كانت مكتبة مدبولي، على الطرف الآخر من الساحة، تؤدي هذا الدور، بالإضافة الى ادوار اخرى، لكن ضيقها ونظام "الترتيب" العجيب الذي يسودها، افقدها قدرة استقطاب الزوار بعد افتتاح "دار الشروق" حيث يجد الزائر متسعاً من المساحة للاطلاع على آخر الاصدارات. وبالفعل، قلما دخلتها من دون ان تسمع لهجات مشرقية تخرق، ولو في حياء، الطغيان المحبب للكنة المصرية. هذه المرة، كانت اللهجة شامية أليفة. انه يوسف عبدلكي الرسام السوري المقيم في باريس. حليق الذقن، شاهراً جديلة شعره الابيض الطويل، بدا يوسف أصغر سناً مما كان بالحياة، كأن سنوات المنفى لم تستطع النيل منه.

هو في القاهرة لمناسبة المعرض الذي تقيمه له "غاليري مشربية" حتى ١١ آذار (٨، شارع شامبوليون، على بعد امتار من ميدان التحرير)، والمخصص للوحات الطبيعة الميته التي اخذ يعمل عليها في الأونة الاخيرة، ووصلنا منها الى بيروت نموذجان عرضتهما منى الأتاسي ضمن تظاهرة "محترفات عربية" في قصر الاونيسكو. قسوة المنفى التي لم تنعكس على وجه يوسف عبدلكي، تجلت في اعماله الجديدة. لعلها القسوة التي كانت وراء المنفى ولا تزال تأسر "البلد"، كما يسميه يوسف، فتبقيه نائياً عنه، فيما اصداء الألم الراسخ تقرّبه اليه. يعرف قراء "الملحق" الألم الذي ينزف من رسم الكاريكاتور الذي يرسله يوسف عبدلكي كل اسبوع فيكاد يكون صلة وصله المنتظمة الوحيدة مع "الديار الشامية".

عمله التشكيلي والجرافكي السابق كان يسعى الى بناء شيء ما من الألم، رسالة سياسية، التزام، ثورة. أما اللوحات الجديدة فأهدأ في ظاهرها، تطرق فيها عبدلكي بالفحم الى حاجيات من الحياة العادية في تشكيلات من الطبيعة الميته. ساكنة تبدو للوهلة الاولى، تنظر اليها العين فتسمع صمتاً دامساً تخاله سيدوم الى ان يخرج فجأة من المشهد الذي خطته الفحمة عويل يصمّ الأذن. الألم اعماق من ان يقال. والطبيعة الميته التي تتعامل معها فحمة عبدلكي ليست محض طبيعة جامدة. هي مفعمة بعنف لا يفصح عن نفسه. طبيعة ميته في المعنى الحرفي، بل طبيعة مغتالة، يقول صديقه السينمائي عمر اميرالاي. سمكة، سمكتان، اسماك، الكثير من الاسماك، بقايا سمك، رؤوس سمكات... وحذاء مقلوب يتوسط السواد شاهداً على خراب لا ينتهي.

|| الخراب، وصفاً واختباراً، كان يمكن ان يكون العنوان الفرعي لمؤتمر "الحوار العربي - الالمانى" الذي استضافته جامعة الدول العربية الاسبوع الفائت في مركزها في القاهرة. لماذا عربي - الماني؟ المبادرة تعود الى الالمان، وهي تتكرر للمرة الخامسة، وان يكن في شكل ملتبس هذه السنة. في الاصل، كانت التجربة اسمها "الحوار الاعلامي العربي - الالمانى"، تجمع كل سنة صحافيين عرباً وألماناً حول موضوعات مهنية لا تخلو منها السياسة، بدعوة من المكتب الاعلامي للجمهورية الاتحادية وأحد معاهد هامبورغ. وتتأوتبت الدورات بين المانيا والعالم العربي، فعقدت دورة في كل من مراكش وعمان، وكانت الاخيرة في هامبورغ في خريف ٢٠٠٠. اي ان التظاهرة



سابقة لاندلاع "صراع الحضارات" في ٩/١١. لكن الحروب الجارية، وبعدها أُخّرت دورة ٢٠٠١، أرخت بظلالها على اللقاء، واولاً من الناحية التنظيمية. اذ سرّ الطرف الالمانى، على ما ظهر، من استعداد جامعة الدول العربية للمشاركة في التنظيم، فغلبت اجندة "حوار الحضارات" على الطابع المهني، وطغت التوجهات الرسمية للعمل العربي المشترك على روحية التبادل الحر المعهودة في الدورات السابقة. بدايةً، سقطت صفة "الاعلامي" من عنوان المؤتمر، فوجد المشتركون انفسهم مدعويين الى تمثيل طرف في وجه طرف آخر. وزاد من الفرز ان الجامعة العربية اخذت على عاتقها اختيار المشاركين العرب، وعلى جري العادة اختلط الحابل بالنابل، والهّم المهني بادعاء التمثيل الوطني (وبجانبه المخابراتي أحياناً). وذهبت الجامعة الى حد دعوة رئيس هيئة مهنية يتربع بكل ديموقراطية على عرش نقابته منذ اثنين واربعين عاماً لتمثيل بلد عربي صغير. لكنه لم يكثرث للدعوة. لحسن الحظ.

في المقابل، عاد الطرف الالمانى واستدرك فأصر على دعوة ثلاثة صحافيين مستقلين على الاقل، من لبنان ومصر، املاً في اثراء النقاش. عيئاً. التركيبية، كما رست، لم تكن تسمح الا بالمواجهة، على الأقل من الجانب العربي. نحن وهم. ونسي الزملاء العرب ان محاورهم في هذا المؤتمر هم من الصحافيين والاكاديميين الالمان الذين يصادقون العرب على الملأ، وبعضهم يتكلم العربية بطلاقة. على المحك، الارهاب طبعاً، وصورة الاسلام في الغرب، واللوبي الصهيوني.

للمرة الالف، "يجب التمييز بين المقاومة والارهاب". وكاد يغيب عن المشاركين العرب انهم ليسوا في مواجهة مع اميركيين، بل مع المان، والمان عارفين فوق ذلك، يقولون بثقة ان "حزب الله" عقلائي وان حكومتهم تقيم احسن العلاقات معه، وان التعاون المخابراتي على احسن ما يرام بينهما. لكن الادهي، والاكثر دلالة على مدى الخراب الذي ضرب العقل العربي، كان يكمن في سوء الفهم العميق لانتماء المحاور: الالمان راجعوا تاريخهم، لكن كثيرين من المشاركين العرب كانوا يخاطبون في الالمان هذا الجانب التاريخي المأسوي الذي رفضوه. حوار الحضارات على الطريقة العربية: اجهل نفسك واجهل الآخر، وحاوره على اساس جهلك المزدوج.

III بالنسبة الى العربي المشارك في الحوار مع الالمان، كان ينبع من القاعة سحر خاص. انها قاعة مجلس وزراء الجامعة، وقاعة القمم عندما تُعقد في القاهرة. في الزاوية اليمين لوحة التصوير المثبتة على الجدار العالي: قائمة الدول الاعضاء بحسب تسمياتها الرسمية والى جانبها الاضواء (المطفأة) المشيرة الى ال "نعم" وال "لا" والامتناع. والى اليسار لوحة مماثلة لكنها تُسلسل الاعلام بدل الاسماء. بين اللوحتين، في صدر القاعة، المنصة التي تعنلها رئاسة القمة. الى الورا مدرجات الصحافيين والضيوف الذين يُدعون الى الجلسات المفتوحة. السحر يأتي تحديداً من وسط القاعة. حلقة واسعة شبه مكتملة، جلس على مقاعدها المنتدون. تُعد المقاعد: ثمانية عشر. اذاً، ليست هذه مقاعد الرؤساء.

ترفع نظرك الى الحلقة الثانية الاوسع والاعلى، وهي ايضاً شبه مكتملة، تُقفلها طاولة مستطيلة يفترض انها للأمين العام ورئيس دورة مجلس الوزراء. هنا العدد صحيح: اثنان وعشرون مقعداً. انها مقاعد رؤساء الوفود، مقاعد الملوك والرؤساء. امام كل كرسي ميكروفون ثابت ولوحة تحكّم للاقتراع. وراى كل كرسي مقاعد جلدية ثابتة، ادنى مستوى، لاعضاء الوفود. تقارن المشهد امامك مع ما حفظته الذاكرة من العمل العربي المشترك، ثم تروح تجرب الزوايا لاستكمال المقارنة، وربما اخذ البركة. هنا جلس جمال عبد الناصر، هنا هواري بومدين، هنا الحبيب بورقيبة، هنا يجلس ياسر عرفات، هنا استوى من فضلّ عدم ذكر اسمه. عند هذا الحد، تهرع الى زاوية اخرى وكأن شيئاً لسعك فجأة. تتأمل مجدداً المكان الذي تكون عينته في ذهنك لعبد الناصر وتعود الى رشذك فتنحسر



على الخراب. الجامعة مثلما عهدناها لم تعد تعطي ثماراً. لا بد من شيء آخر يكمل الموجود ويعيد اطلاق عمل عربي مشترك على قواعد جديدة.
الأمين العام الجديد يدرك الحاجة الى توسيع أفق الجامعة. في ختام الحوار الالمانى - العربي تحدث عمرو موسى عن مشروع تجديد الجامعة. ذكر بأنها جامعة دول، لكنه اشار الى نية لدى الامانة العامة لايجاد اطر تتيح مشاركة فاعليات المجتمعات العربية. المشكلة طبعاً ان الدول لن تترك جامعتها تفلت من يديها بسهولة، وانها ستحاول التحكم باقتحام المواطن دائرتها. والمشكلة الاخرى ان مؤسسات العمل العربي المشترك تعودت نمطاً من الشخصيات ليست في الضرورة الاكثر رغبة في التجديد، كما يُستدل من الطريقة التي اختارت بها الجامعة "الممثلين" العرب الى مؤتمر الحوار مع الالمان.

لكن وجود امين عام راغب في التجديد يبقى فرصة، وان ضاق ذرع الدول به. انها على الاقل الفرصة كي يتحرك الذين يتحسسون مدى الخراب، وتصدر مبادرات اهلية تلتقي مع ارادة الامين العام، فتضغط على الدول بدل ان تتلقى الضغط منها. مبادرات تدفع مثلاً الى اقامة هيئات قابلة لاستيعاب تنوع المنظمات غير الحكومية العربية، او مجالس قطاعية تكون موازية للمؤسسات القائمة، على ان تراعى في تشكيلها حيوية المجتمعات العربية، فلا تكون مرادفاً للاتحاد البرلماني او غيره من الهيئات الجامدة، بل تصر ان توسع صدى الذين نبذتهم الحياة الرسمية الى حيث لا شهادة الا على الخراب، وبالفحم الاسود.

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000744	
Media	(Support)	HC
Title		الخراب
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٢/٢/٢٥ 25/2/2005
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	عمر و موسى - يوسف عبد البكي - منى أتاسي - عمر امير الاي - جمال عبد ناصر - هواري بومدين - ياسر عرفات
	Locations	قاهرة - باريس - سوريا - بيروت - مراكش - عمان - اميركا - المانيا
	Dates	٢٠٠٠ - ٢٠٠١
	Themes	قاهرة - مكتبة دار شروق - عرب - مكتبة مدبولي - رسام سوري يوسف عبدلكي - تظاهرة محترفات عربية - مؤتمر حوار عربي الماني - جامعة دول عربية - حوار اعلامي عربي الماني - هامبورغ - صراع حضارات - حوار حضارات - اللأرهاب - صورة اسلام في غرب - لوبي صهيوني - تمييز بين مقاومة ارهاب - حزب الله - أمين عام جامعة دول عربية
Subject		